الدعاية العربية لروسيا ـ ماهيتها وأهميتها

آنا بورشفسكايا و كاثرين كليفلاند

يشكّل التلاعب بالمعلومات إحدى أهم أدوات السياسة الخارجية التي تستخدمها روسيا من أجل المضي قدماً في تطبيق أجندتها المعادية للغرب. ويصف ديمتري كيسليوف، أحد أبرز مروّجي الدعاية في الكرملين، الصحافة على أنها تكتيك حربي: "إذا استطعت إقناع شخص ما، ليس عليك قتله. فلنفكر بما هو أفضل: القتل أو الإقناع؟ لأنك إذا عجزت عن الإقناع، عندها سيتوجب عليك القتل".

لقد أصبح الشرق الأوسط ساحةً متنامية لنفوذ موسكو، وقد استثمر الكرملين بشكل كبير ودائم من أجل الوصول إلى الجمهور الناطق بالعربية. وبالفعل، تكرّس موسكو المزيد من الموارد للوصول إلى العالم النامي، وبشكل خاص الناطقين باللغتين الإسبانية والعربية، أكثر منه للوصول إلى الجمهور الغربي.

فضلاً عن ذلك، وفي حين يتراجع عدد إجمالي سكان روسيا، تشهد فيها الأقلية المسلمة الكبيرة نمواً. وقد عزّز هذا التغيير الديموغرافي حاجة موسكو إلى الانخراط في الشرق الأوسط، وهو تطوّر اضطلعت فيه وسائل الإعلام بدور أساسي.

ويزوّد مشهد وسائل الإعلام في الشرق الأوسط الدولة الروسية بفرص فريدة. فهذه المنطقة التي تمتلك وسائل إعلام تسيطر عليها الدولة وأخرى مستقلة ضعيفة إضافة إلى اعتماد متنامٍ على وسائل التواصل الاجتماعي ـ إلى جانب تاريخ من الشك في مصادر الأخبار الغربية ـ قد خلقت فرصاً مفيدة يستغلها الكرملين من أجل المضي قدماً في أجندته. وتقدّم روسيا وسائل إعلامها الخاصة كبديل أفضل للشبكات الأخرى الناطقة بالعربية، كما لديها جمهور أكثر تقبلاً في المنطقة مما هو في الغرب.

واليوم، يُعتبر موقعا "روسيا اليوم العربية" و"سبوتنيك عربي" أبرز وسيلتين إعلاميتين لنفوذ موسكو من حيث الدعاية. ويُظهر تحليل هذين الموقعين استمرارية أهداف الدعاية التقليدية للكرملين من جهة، واعتماد وسائل تمّ اختبارها من أجل تحقيق هذه الأهداف من جهة أخرى. وتطوّر هذه الوسائل صورةً

لموسكو كقوة عظمى في الشرق الأوسط وتركز بشكل هائل على مواقع التواصل الاجتماعي. كما أنها تقدّم وبشكل لا يدعو للمفاجأة إيدلويوجيا انقسامية وتآمرية ومعادية للغرب. غير أن تحقيقاً أعمق يُظهر مقاربةً مختلفة على نحو أكبر ترمي إلى بناء مصداقية مع الجمهور العربي من خلال تغطية مسائل محلية وذات أهمية إنسانية - وخاصةٍ في مصر - ومن خلال جهود إقامة علاقات مع وسائل إعلام محلية وإقليمية أخرى. وفي حين تكتسب هذه العملية الإعلامية الممولة من الكرملين زخماً ومشاهدين على المستوى المحلي، إلّا أنها تطرح تحدياً على نحو متزايد أمام مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

- **لقد انسحبت الولايات المتحدة بشكل مطرد من الشرق الأوسط خلال السنوات القليلة الماضية، وتقدمت روسيا برئاسة بوتين لملء هذا الفراغ. ويتنامى نفوذ موسكو في المنطقة من خلال مساعي القوة المتشددة والناعمة على حد سواء. ويشكل التلاعب بالمعلومات إحدى أدوات السياسة الخارجية المتعددة التي يستخدمها الكرملين من أجل تطبيق أجندته المعادية للغرب.**
- **لقد استثمر الكرملين بشكل كبير ودائم من أجل الوصول إلى الجمهور الناطق بالعربية، مانحاً الأولوية إلى منطقة الشرق الأوسط بدلاً من الغرب باعتبارها نقطة تركيز مساعيه الدعائية العلنية.**
- **يقدّم مشهد وسائل الإعلام في الشرق الأوسط فرصاً فريدة وأرضاً خصبة يمكن لروسيا استغلالها وخاصة من خلال قنواتها الإعلامية العربية لصالح "روسيا اليوم" و"سبوتنيك".**
- **يستثمر الكرملين بشكل كبير في وسائل الإعلام الناطقة بالعربية، بما أن الجمهور العربي - لا سيما القاعدة الشعبية الكبيرة من الشباب في المنطقة - يعتمد على نحو متزايد على هذه المصادر للأخبار. وتشير هذه المقاربة إلى أن الكرملين يستثمر في إعداد جمهوره لاحتمال استغلاله على المدى الطويل.**
- **يعزّز موقعا "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" نظريات الشك والمؤامرة القائمة في أوساط متابعي الأخبار مع تقديمهما في الوقت نفسه تقارير دقيقة لبناء المصداقية؛ وتحقيقاً لهذه الغاية، يركز العديد من الروايات على القضايا المحلية وذات الأهمية الإنسانية. وتعدّل هذه الوسائل الإعلامية لهجتها وفقاً للجمهور مع الحفاظ على موقف معادي للغرب كمبدأ موحد.**
- **إلى جانب السياسة الروسية المحلية، يقدم موقعا "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" تغطيةً أساسية لأبرز القضايا الإقليمية في روسيا وإيران ومصر وإسرائيل والخليج والغرب.**
- **يتجاوز على الأرجح الاهتمام الروسي في رسم معالم رسائل وسائل الإعلام الناطقة بالعربية كلاً من "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" ليطال شبكة الإنترنت الأوسع نطاقاً، حيث تقيم موسكو شراكة في قضايا محددة، على غرار مصر، مع وسائل إعلام حكومية محلية.**

يُذكر أن "روسيا اليوم إنكليزي" RT English (سابقاً "Russia Today" و "Rossiya Segodnya" في الروسية) هي وسيلة الدعاية الرائدة في موسكو لبلوغ الجمهور في الخارج. وتمّ إطلاقها رسمياً في كانون الأول/ديسمبر عام 2005 كجزء من وكالة الأنباء "ريا نوفوستي" التابعة للدولة. وإذ يقع مقرها الرئيسي في موسكو، تنتهج "روسيا اليوم" شعار "اسأل أكثر"، مما يعبّر عن هدفها في تقويض الغرب من خلال التضليل عبر زرع بذور الارتباك والشك. وتعتمد استراتيجية الرأي في "روسيا اليوم" على فكرة عدم وجود حقيقة موضوعية. ففي هذا السياق، قال فلاديمير بوتين في مقابلة أجريت معه بعد بضع سنوات "حين صممنا مشروع [روسيا اليوم] هذا في عام 2005، كنا نعتزم طرح لاعب قوي آخر في الساحة العالمية ... وأيضاً كنا نحاول، ودعوني أشدد على هذه النقطة، أعني - نحاول خرق الاحتكار الأنْكلوسَكْسَوني على مسارات المعلومات العالمية".

وقد بدأت "روسيا اليوم" البث باللغة العربية كتلفزيون "روسيا اليوم" في الرابع من أيار/مايو 2007، وغيّرت اسمها إلى "روسيا اليوم العربية" RT Arabic في عام 2009. وأعقبتها "روسيا اليوم الإسبانية" RT Spanish في 2009 ومن ثم "روسيا اليوم أمريكا" RT America في 2010 و"روسيا اليوم الروسية" RT Russian في 2011 وكل من "روسيا اليوم بريطانيا" RT UK و"روسيا اليوم الفرنسية" RT French و"روسيا اليوم الألمانية" RT German في 2010 وبعدها "روسيا اليوم الصينية" RT Chinese في 2015. إن هذا الاختيار لـ "روسيا اليوم" أن تكون لغة بثها هي العربية بعد الإنكليزية، ومن ثم الإسبانية، يُظهر التركيز المبكر الذي وضعه الكرملين على التواصل مع الشرق الأوسط.

وتربط سلسلة مشتركة من الميول المعادية لأمريكا كافة تقارير "روسيا اليوم"، لكن البرنامج الإعلامي يعدّ رسائله أيضاً بما يتماشى مع الجماهير الفردية. وكما شرح الخبيران لشؤون الكرملين روبرت أورتنغ وإليزابيث نلسون، "من خلال فصل الجمهور إلى فئات لغوية، تفصل «روسيا اليوم» بشكل طبيعي أولوياتها لكل جمهور من خلال رسائلها المستمرة المختلفة في كل قناة".

وحالياً، تتوافر "روسيا اليوم العربية" في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عبر إشارة القمر الصناعي الخاصة بها. لكن الأهم من ذلك، أن القناة متوافرة عالمياً عبر الإنترنت وناشطة للغاية عبر مواقع "تويتر" و"يوتيوب" و"فيسبوك". كما أن مراسلي "روسيا اليوم العربية" متواجدين على الأرض في المنطقة، حيث تم إرسالهم إلى مصر والأراضي الفلسطينية وإسرائيل ولبنان وكذلك في الولايات المتحدة وبريطانيا.

أما خدمة أخبار "سبوتنيك"، فهي أحدث وأقل شهرةً وانتشاراً من "روسيا اليوم". وكان قد تمّ إطلاق "سبوتنيك" في تشرين الثاني/نوفمبر 2014 ويقع مقرها في موسكو، وتعود ملكيتها إلى شبكة "روسيا اليوم" (وهي في الظاهر الشركة الأم لكل من "ريا نوفوستي" و"سبوتنيك" رغم أنها تحمل الاسم نفسه بالروسية كتجسد أصلي لـ "روسيا اليوم"). وإذ تقدّم خدماتها بأكثر من ثلاثين لغة، تبث "سبوتنيك" الأخبار عبر موقعها الإلكتروني وتشمل بثاً إذاعياً وخدمة وكالة أنباء. وفي الوصف الخاص بالشبكة، لديها أكثر من ثمانين كاتب لغتهم الأم هي العربية ويعملون في أكثر من خمسين دولة. ووفقاً لموقع "سبوتنيك" الإلكتروني، تقدّم خدمة وكالة الأنباء أيضاً قنوات خدمات إعلامية متعددة عبر حاسوب بروتوكول نقل الملفات، ومحطة إخبارية عبر الإنترنت، وبريد إلكتروني.

وتصرف "روسيا اليوم" حوالي 80% من نفقاتها في الخارج - في مؤشر آخر على الأهمية التي توليها موسكو إلى الوصول إلى جمهور أجنبي. وكانت قيمة الروبل قد تراجعت بشكل كبير خلال السنوات الماضية، وهي مسألة مهمة عند تقييم نفقات "روسيا اليوم". ففي عام 2015، وبعد ضمّ روسيا لجزيرة القرم وتدخلها الوشيك في سوريا، زادت روسيا ميزانية "روسيا اليوم" بأكثر من الضعفين إلى نحو 300 مليون دولار، ولا تزال توفر هذه الميزانية حالياً تقريباً. وتشير دراسة أخرى إلى رقم 236 مليون دولار ولكنها تشدّد على أنه "تمَّت مراجعة" هذا الرقم "بشكل مستمر ولم يتم الإبلاغ عن جميع التمويل". ووفقاً للدراسة نفسها، في عام 2014 - وهو العام الذي ضمّت فيه موسكو جزيرة القرم إلى أراضيها - بلغت ميزانية "روسيا اليوم" ذروتها بمبلغ 445 مليون دولار. وبغض النظر عن الاختلافات الطفيفة في أرقام الميزانية المتوافرة، وإذا ما قبلنا واقع أنه لم يتمّ الكشف عن كامل عمليات التمويل، فمن الممكن مقارنة هذه الأرقام مع وسائل إعلام أخرى.

لنأخذ على سبيل المثال ميزانية "إذاعة أوروبا الحرة/ راديو ليبرتي" التي ازدادت من 75 مليون دولار في عام 2007 إلى ما يتوقع 128 مليون لعام 2018. فعلى الرغم من أن هذا المسار يُظهر نمواً، إلّا أن ميزانية "إذاعة أوروبا الحرة/ راديو ليبرتي" لم تقترب قط من ميزانية "روسيا اليوم" حتى عندما بلغت ذروتها خلال الأيام الأخيرة للاتحاد السوفيتي. وفي مثال آخر، بلغت ميزانية مجموعة "بي بي سي" للخدمات العالمية لعام 2015/2014، والتي تضمنت توزيع الخدمات الإخبارية عبر التلفزيون والإذاعة والإنترنت، 376 مليون دولار. ورغم أنه لم يتمّ الإفصاح علناً عن ميزانية أكبر شبكتين عربيتين في المنطقة، وهما "العربية" و"الجزيرة"، إلّا أن هناك تقارير متفرقة تشير إلى نفقات مرتفعة: فقد أعلنت "الجزيرة" عن ميزانية سنوية بقيمة 650 مليون دولار في عام 2010، رغم بروز تقارير عن تقليص الميزانية وخفض عدد الموظفين وإغلاق قناة "الجزيرة أمريكا"، منذ عام 2016. وبالمثل، تفيد بعض التقارير أن ميزانية "العربية" تناهز مئات الملايين سنوياً.

المشهد الإعلامي في الشرق الأوسط

نظراً إلى أنه يتم التكلم باللغة العربية في العديد من البلدان، يمكن للجهات الفاعلة الحكومية الوصول إلى جمهور متعاطف خارج حدودها الخاصة، ويمكن لمراكز الصحافة المستقلة أن تزدهر حيث تكون رقابة الدولة ضعيفة والخيارات المحلية القائمة محدودة، مما يوفر بدائل للآراء الرسمية.

ومع ذلك، أدّت التحديات التي يطرحها تمويل وسائل الإعلام المستقلة في المنطقة إلى بروز وسط يفضّل الأصوات ذات وجهات النظر الحاسمة والقدرة على حشد الدعم المالي. وفي الواقع، يتلقى العديد من مصادر الأخبار المستقلة ظاهرياً دعماً غير مباشر من الجهات الفاعلة المرتبطة بالدولة. فضلاً عن ذلك، حتى وسائل الإعلام التي لا تموّلها الحكومة في الشرق الأوسط تُبدي في الغالب زاويةً سياسيةً محددة. وناهيك عن التوجه السياسي، تبرز القدرة الكبيرة على التغيير في جودة الإعلام في المنطقة. وقد صوّر صحافي في إحدى ورش العمل الاختلافات عن المعايير الغربية من خلال أدلة صورية، علماً أنه أقرّ من دون تردد استخدامه صوراً معدّلة من أجل إظهار "شرور تنظيم «الدولة الإسلامية»" بصورة أفضل. وتظهر الدراسات الاستقصائية لبرامج دراسات وسائل الإعلام في البلدان العربية أن المواد الدراسية المتاحة - التي غالباً ما يتمّ نشرها في بريطانيا أو الولايات المتحدة - لا تعكس في أغلب الأحيان بدقة حقائق إعداد التقارير في الشرق الأوسط المليئة بالتحديات.

فضلاً عن ذلك، يتعرض الصحفيون في الشرق الأوسط في حالات كثيرة للرقابة والاعتقال إذا لم يتم ممارسة الرقابة الذاتية على نحو حكيم. وهذه القيود المفروضة على الصحافة تجعل الحصول على معلومات تمّ التحقق منها بدقة، والإسهام في الاعتماد بدلاً من ذلك على وسائل غير رسمية لإعداد التقارير أكثر صعوبة على الجمهور، بدءاً بوسائل التواصل الاجتماعي ووصولاً إلى صحافة المواطن.

بالإضافة إلى ذلك، أحدثت وسائل التواصل الاجتماعي ثورةً في عدد قراء الأخبار في العالم العربي أكثر مما أحدثته حتى في الولايات المتحدة. فوفقاً لاستطلاع أجرته "جامعة نورث ويسترن في قطر" مؤخراً، أفادت غالبية المستطلعين من كافة البلدان التي شملها الاستطلاع في عام 2017 (مصر والأردن ولبنان وقطر والسعودية وتونس والإمارات) عن استخدام مكثف للهواتف الذكية والتلفزيون من أجل الاطلاع على الأخبار. ويعكس هذا الأمر تحوّلاً هائلاً مقارنةً بالعقد الماضي - ففي عام 2008، قال 52 في المائة من المستطلعين في الدول العربية خلال استطلاع للرأي أجرته مؤسسة "زغبي" إنهم لم يستخدموا الإنترنت مطلقاً، في حين أفادت نسبة 8 في المائة فقط أنها استخدمت الإنترنت

كمصدر رئيسي للأخبار الدولية. والأهم من ذلك، تتزايد الثقة في مصادر الأخبار في العالم العربي، حيث تتحرك بالاتجاه المعاكس للنمط السائد في أوساط الجمهور الأمريكي.

وتوفّر البيئة الإعلامية الحالية في الشرق الأوسط - حيث يمكن النفاذ بسرعة أكبر إلى الأخبار عبر الإنترنت ولكن تكون موجهةً بشكل عام من قبل وسائل الإعلام الممولة من الحكومة أو تخضع لإشرافها بشكل غير مباشر - فرصاً مفيدة لموسكو. وببساطة، تميل الحملة الدعائية للكرملين إلى تحقيق نجاح أكبر في بيئة تتلقى أساساً رسائله. ويوفّر اليوم المشهد الإعلامي في الشرق الأوسط مثل هذه البيئة.

استراتيجية مواقع التواصل الاجتماعي

بالنظر إلى المشهد الإعلامي المشار إليه، من المتوقع أن تستفيد منصتا "روسيا اليوم العربية" و"سبوتنيك" على عدة أصعدة. فمع لجوء المشاهدين العرب بشكل متزايد إلى وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة "فيسبوك"، للاطلاع على الأخبار، تثبت "روسيا اليوم العربية" أنها مؤهلة لنشر رسالتها من خلال هذه القنوات الجديدة - موقعها الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي ومواقع الفيديو على غرار "يوتيوب"، إلى جانب "إعادة نشر" محتوى "روسيا اليوم" على مواقع أخرى. ومن خلال استخدام هذه القنوات، تركز "روسيا اليوم العربية" بشكل خاص على نشر دفق إعلامي شبه دائم من خلال مقالات وأشرطة فيديو ومحتوى تفاعلي.

وبالعودة إلى أواخر عام 2011 وأوائل عام 2012، عندما شهدت روسيا أكبر احتجاجات معادية للحكومة منذ سقوط الاتحاد السوفيتي، أدركت القيادة أهمية الإنترنت. فخلال هذه الاحتجاجات، برزت المعارضة المنظمة من خلال شبكات اجتماعية عبر الإنترنت، وظهر المدوّن المناهض للفساد أليكسي نافالني، كأحد أبرز منتقدي الكرملين. وفهم فلاديمير بوتين أنه لكي يحتفظ بالنفوذ عليه أن يتحكم بالمجال السيبراني، وهو ما فعله ليس فقط من خلال زيادة الرقابة في الداخل، ولكن أيضاً من خلال ملء مجال الإعلام في الخارج بشكل مكثف.

ويجدر بالذكر أن المحتوى الإلكتروني الصادر عن "روسيا اليوم العربية" هائل مقارنةً بمواقع أخرى. فعلى موقع "تويتر" على سبيل المثال، نشرت "روسيا اليوم العربية" 524 ألف تغريدة، في محتوى يتجاوز إلى حدّ كبير تغريدات كل من "الجزيرة" البالغة 229 ألفاً و"العربية" وعددها 164 ألفاً و"سي أن أن بالعربية" وعددها 138 ألفاً و"بي بي سي العربية" عند 111 ألفاً و"الحرة" وعددها 86 ألفاً وذلك في كانون الأول/ديسمبر 2018. وعلى "فيسبوك"، تنشر "روسيا اليوم العربية" بمعدل يتخطى بنحو خمس مرات صفحات "الجزيرة" و"العربية" باللغة العربية على التوالي، مع 10 مواضيع إخبارية في الساعة تقريباً مقابل المعدل الثابت نسبياً للصفحتين الأخريتين المتمثل بمنشورين إخباريين في الساعة. وتتمكن الصفحات الثلاث من أن تحصد على نحو منتظم أكثر من ألف "تفاعل" على كل منشور إخباري - كما هو مبين في تصنيف "فيسبوك" - ويبدو أن محتوى الفيديو الصادر عن "روسيا اليوم العربية" يحظى بأعداد مشاهدة مماثلة لمحتوى فيديو "العربية" المنشور في الوقت نفسه، رغم أنه أقل من المشاهدات المتعقبة لما تنشره "الجزيرة" على موقع الـ "فيسبوك".

كما تنخرط صفحات "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" مع الجمهور من خلال المنشورات الناشطة والمتنوعة. فعلى صفحة "روسيا اليوم العربية" على الـ "فيسبوك" - مع 14.9 مليون متابع كما يُدّعى، محجماً عدد معجبي "روسيا اليوم إنكليزي" الذي لا يزال عالياً بشكل ملحوظ عند 5.4 ملايين - تكون

المشاركات سريعة وتنتشر أيضاً في عدد من الصفحات ذات المواضيع المتنوعة، بما فيها "روسيا اليوم العربية - بلاي (فيديو)" و"روسيا اليوم العربية - المعرفة" و"روسيا اليوم العربية - الرياضة". إن هذا التركيز على النشر الدائم والكثيف على وسائل التواصل الاجتماعي، مع قدر كبير من المحتوى المصمم خصيصاً ليتم قراءته في سياق وسائل التواصل الاجتماعي، يشير إلى أن "روسيا اليوم" تسعى إلى استهداف جمهور أصغر سناً مُلِم على نحو متزايد بأمور التكنولوجيا. إنها ديمغرافية حيوية في ظل الطفرة الشبابية في العالم العربي، وتشير إلى أن الكرملين يقوم باستثمار طويل المدى في الوصول إلى الجماهير الناطقة بالعربية.

"روسيا اليوم" بالأرقام

في شباط/فبراير 2015، صنّف استطلاع أجرته شركة نيلسون ونقلته "روسيا اليوم"، قناة "روسيا اليوم العربية" من بين القنوات الإخبارية الثلاثة الأولى الأكثر مشاهدةً في ست دول عربية شملها الاستطلاع: مصر والمغرب والسعودية والأردن والإمارات والعراق. ووفقاً للاستطلاع، تخطى جمهور "روسيا اليوم" اليومي جمهور كل من "بي بي سي العربية" البريطانية و"سكاي نيوز عربية" و"الحرة" الأمريكية والقناة الصينية "سي سي تي في العربية". واستناداً إلى خبير الحملات الدعائية في الكرملين دونالد جنسن، "تشير الأدلة السردية إلى أن المعدل اليوم قد يكون حتى أعلى من ذلك".

وعندما بدأت "روسيا اليوم العربية" البث عبر الأقمار الصناعية في عام 2007، كان نطاق البث مؤشراً أساسياً على النجاح. واستناداً إلى معلومات متوافرة عن نطاق البث، فإن جاذبية "روسيا اليوم العربية" هي في الواقع أقل ثباتاً في المنطقة من شركات البث التلفزيوني الرئيسية الأخرى التي تتوافر بشأنها بيانات. وتمثلت إحدى الصعوبات التي واجهت الباحثين السابقين في "روسيا اليوم العربية" في غياب معلومات منقولة بشكل مستقل يمكن النفاذ إليها على التلفزيون الفضائي التابع للقناة؛ ومع ذلك ووفقاً لمصادر أخرى متنوعة، يحظى بث "روسيا اليوم" باللغة العربية بجمهور كبير في بعض الدول ولكنه محدود نسبياً على صعيد الانتشار ككل في المنطقة.

وفي الآونة الأخيرة، أفادت "روسيا اليوم" في عام 2018 أنه استناداً إلى دراسة أجرتها شركة "إبسوس"، يشاهد 11 مليون شخص "روسيا اليوم العربية" بشكل أسبوعي، حيث تتركز أكبر نسبة مشاهدة في العراق. وفي المقابل، تشير أحدث إحصاءات متوافرة بشأن "الحرة" إلى بلوغ عدد مشاهديها 17 مليون كل أسبوع، بينما تشير شبكات البث في الشرق الأوسط التي تستضيف "الحرة" و"الحرة عراق" إلى 25.7 مليون. وتدل أحدث أرقام بث بشأن "روسيا اليوم" على زيادة إجمالية مقارنةً بالأرقام التي أعلنت عنها القناة في وقت سابق وشملها استطلاع نيلسون المذكور آنفاً، والتي أشارت إلى 11.5 مليون مشاهد/الشهر في عام 2015.

ونظراً إلى النجاح المحدود نسبياً لنطاق "روسيا اليوم العربية" على شركات البث الإعلامية التقليدية، يبدو أن "روسيا اليوم العربية" استفادت إلى حدّ كبير من تغيير معايير نسبة مشاهدة وسائل الإعلام، حيث أصبح الإنترنت مصدراً رئيسياً للأخبار. وتقدّم شركة "أليكسا" التي تجمع إحصاءات بشأن المواقع الإلكترونية نافذةً أخرى إلى نطاق انتشار "روسيا اليوم العربية"، مشيرةً إلى أن الشركة الإخبارية قادرة على الوصول إلى جمهور أكبر بكثير عبر موقعها الإلكتروني منه عبر البث التلفزيوني. واستناداً إلى مقاييس "أليكسا" التي تمّ الحصول عليها في تشرين الثاني/نوفمبر 2018، تحتل "روسيا اليوم" المركز 301 من بين المواقع الإلكترونية الأكثر شعبيةً في العالم، وهو تصنيف

يستند إلى إجمالي عدد المشاهدين ومشاهدات الصفحة (راجع الجدول). فضلاً عن ذلك، تأتي نسبة 1.79 في المائة من حركة الإنترنت لـ "روسيا اليوم" من مصطلح البحث "يوتيوب" بالعربية، مما يجعلها الموجه الثالث الأكثر شعبية لحركة المرور لكافة صفحات "روسيا اليوم". ورغم أن موقع "أليكسا" يوضح أن مقاييس "روسيا اليوم" هي "مقدّرة" وليست مثبتة، إلّا أن هذه الأرقام تقدّم فكرة تقريبية عن النفاذ إلى الموقع الإلكتروني لـ "روسيا اليوم" في العالم العربي. وبناء على هذه البيانات، يكتسي موقع "روسيا اليوم" شعبية ملحوظة في الدول الناطقة باللغة العربية بشكل شامل، حيث غالباً ما يتخطى تصنيفها ترتيب موقعيْ "العربية" و"الجزيرة" (راجع الجدول 1).

أبرز تصنيفات "أليكسا" للمواقع الإلكترونية وفقاً للبلد

	روسيا اليوم	العربية	الجزيرة	الحرة
الجمهورية العربية السورية	11	212	481	1,540
اليمن	40	غير متوافر	109	3,368
ليبيا	44	104	غير متوافر	1,024
العراق	52	155	348	478
الأردن	90	170	126	1,789
السودان	104	116	24	1,208
تونس	136	560	248	2,262
الكويت	140	220	317	2,541
الجزائر	147	425	163	3,045
المملكة العربية السعودية	148	97	617	2,946
مصر	174	422	1,172	2126

على الرغم من هذه النتائج، تعتبر أرقام المواقع الإلكترونية والبث غير كافية لفهم النطاق الشامل للمعلومات الإعلامية المنشورة عبر الإنترنت. فضلاً عن ذلك، تشتهر "روسيا اليوم" بحد ذاتها باستخدام برامج الكمبيوتر وغيرها من الوسائل لزيادة عدد المتابعين والمشاهدين لخدماتها باللغة الإنكليزية. ومع ذلك، تتلاعب هذه المقاربة بنجاح بالنظام للترويج من أجل زيادة المشاهدة الفعلية استناداً إلى قواعد حسابية على المناهج الألكترونية [المنتديات على شبكة الإنترنت].

وكما ذكرنا سابقاً، يعكس تركيز "روسيا اليوم" على وسائل التواصل الاجتماعي اهتماماً خاصاً في نشر رسالتها إلى الجمهور الأكثر شباباً. وبالفعل، وجد استطلاع أجري عام 2018 أن الشباب العربي يلجأ إلى وسائل التواصل الاجتماعي من أجل مشاهدة الأخبار أكثر منه إلى التلفزيون (63 في المائة مقابل 51 في المائة). ففي كانون الأول/ديسمبر 2014، تفاخرت "روسيا اليوم" بأن عدد مشاهدي قنواتها الخمس مجتمعةً بلغ مليوني مشاهد على "يوتيوب". وتكشف دراسة أُجريت في الآونة الأخيرة بشأن تأثير "روسيا اليوم" على "يوتيوب" - الوسيلة الأسهل في التتبع نظراً لأن "يوتيوب" يوفر عدد المشاهدات - أن عدد متابعي "روسيا اليوم العربية" كبير وآخذ في الازدياد. وفي عام 2016، سجلت الدراسة نفسها عدد مشاهدة ناهز 300 ألف لهذه القناة. وفي كانون الأول/ديسمبر 2018، كان لـ "روسيا اليوم العربية" 125 مقطع فيديو على صفحتها على "يوتيوب"، حظي كل منها بأكثر من مليون مشاهدة، ليأتي ترتيبها بين قناة "الجزيرة" مع 97 فيديو و"العربية" مع أكثر من 200 فيديو يتجاوز مليون

مشاهدة. وفي حين جرى تداول العديد من هذه الفيديوهات على نطاق واسع بفضل المحتوى المصمم ليكون جذاباً ببساطة بدلاً من الترويج لرسالة معينة، ترتبط مقاطع الفيديو الأخرى صراحةً بسياسة المنطقة، على غرار الفيديو الذي نشرته "روسيا اليوم العربية" بعنوان "لحظة القبض على طفل انتحاري من تنظيم «الدولة الإسلامية» في العراق"، الذي حصد 7.2 مليون مشاهدة.

وحتى مع أخذ جهود التضخم في الحسبان، لدى "روسيا اليوم العربية" عدد هائل من المتابعين على الـ "فيسبوك" - وهو أمر مهم بشكل خاص نظراً إلى تفوّق "فيسبوك" باعتباره موقعاً اجتماعياً وإخبارياً بالنسبة إلى جيل الألفية في العالم العربي. وفي كانون الأول/ديسمبر 2018، حظيت "روسيا اليوم العربية" بنحو 15,100,000 معجباً، وفي حين تأتي بعد وسائل إعلام أكثر نفوذاً على غرار "العربية" (22,150,000 معجب) و"الجزيرة" (22,950,000 معجب)، إلّا أنها لا تزال تتخطى العديد من وسائل الإعلام الدولية الأخرى، بما فيها "سكاي نيوز عربية" (12,150,000) و"الحرة" (11,080,000) و"بي بي سي العربية" (10,010,000) و"سي أن أن العربية" (2,490,000). ويعتبر هذا الرقم أكبر بكثير من متابعي "روسيا اليوم إنكليزي" البالغ عددهم 5.4 مليون والمشار إليه سابقاً. وفي حين يمكن تضخيم هذه الأعداد من خلال إنشاء حسابات زائفة للتفاعل مع المحتوى على صفحة "فيسبوك" أو حساب "تويتر"، تشير مراجعة أخرى لصفحات مختلفة إلى أن المستخدمين يتفاعلون مع ما تنشره "روسيا اليوم العربية" على صفحتها على "فيسبوك" بمعدل يمكن مقارنته مع "العربية" و"الجزيرة".

تغطية "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" في الشرق الأوسط

عادةً ما ينشر موقعا "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" مقالات إخبارية موجزة، وفي بعض الأحيان مقالات افتتاحية أطول. وتساعد المقالات الواقعية التي تُنشر بسرعة على رسم معالم الآراء الإعلامية من خلال عناوين مضللة غالباً ما تحرّف محتوى حيادياً في الأصل. وفي غضون ذلك، تميل المقالات الافتتاحية والفقرات التلفزيونية الأطول إلى تقديم وجهات نظر تآمرية أكثر علانية، على غرار مقطع الفيديو "الفاتيكان، الماسونيون، وكالة الاستخبارات الأمريكية والمافيا ... مع مستندات وأسماء وسجلات عمليات اغتيال" أو المقال الافتتاحي "إسرائيل تعلن عن حقوقها، القرم لنا". إن الاعتماد على نظرية المؤامرة لتنمية الشعور بـ "الكشف عن الحقيقة" هو تكتيك تتشاركه "روسيا اليوم العربية" مع القناة الشقيقة الناطقة بالإنكليزية.

وتكون نظريات المؤامرة هذه لافتةً أكثر للنظر في سياق اهتمام "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" بأن تبدوا محترفتَين من أجل اكتساب المصداقية. فعلى سبيل المثال، كشف مستند إعلامي حول إعداد التقارير خلال الأزمة الخليجية الأخيرة بين قطر والدول المجاورة لها ومصر عن مساعي "روسيا اليوم" لتقديم تحليلها مستعينةً بخبراء من الخارج. فغالباً ما عرّفت "روسيا اليوم" مصادرها على أنهم أكاديميون ومحللون أكثر بكثير مما فعلت وسائل الإعلام الغربية (33 في المائة من الروس مقابل 23 في المائة في وسائل إعلام أمريكية و16 في المائة في وسائل إعلام بريطانية).
وهذا الإحساس بالإحترام يتجلى أيضاً في معايير بث "روسيا اليوم العربية". يُذكر أن "روسيا اليوم الإنكليزية" اعتمدت أسلوباً يلجأ غالباً إلى الاستهزاء والسخرية لإظهار ثغرات في "رواية سائدة" تشكك بها على نحو متزايد أصوات في الدول التي تتلقى البث. في المقابل، تعتمد "روسيا اليوم العربية" على الروايات الإعلامية الراسخة - وخاصةً تلك التي تعزز نظرةً معاديةً للغرب. فعلى سبيل المثال، يمثّل مقدم البرامج في "روسيا اليوم العربية" سلام مسافر جميع مذيعي "روسيا اليوم العربية". فهو

صحفي عراقي سابق عمل لصالح وكالة الأنباء الحكومية في عهد صدام حسين إلى حين إقالته ونفيه القسري إلى موسكو، وهو يقدّم برنامج "قصارى القول" ... بجو من المهنية والحيادية الظاهرة.

وكما ذكرنا سابقاً، تشدد "روسيا اليوم العربية" على الأخبار المحلية والقصص ذات الأهمية الإنسانية من أجل دعم مصداقيتها. واستناداً إلى إحدى الدراسات، كانت هذه البرمجة بالتحديد "ناجحة للغاية". وفي الوقت نفسه، تتباعد المحطة أحياناً عن تغطية موسكو للمواضيع الإقليمية والعالمية الأخرى، وذلك رهن بمصلحة الكرملين الخاصة في كل موضوع. وبالتالي، من أجل فهم رسالة الدولة الروسية باللغة العربية، من المفيد النظر في تغطية وسائلها الإعلامية لفرادى البلدان في المنطقة، والغرب، وروسيا نفسها. وتقوم الأقسام التالية بدراسة هذه المواضيع.

سوريا وإيران

ليس من المستغرب أن يحظى الصراع في سوريا، ومؤخراً الوضع الذي قد ينفجر في إدلب، باهتمام كبير في تغطية "روسيا اليوم العربية" و"سبوتيك". إن المقالات المرتبطة بهذه النقطة قصيرة ومحددة، وتنقل ما جاء في مصادر تتراوح بين "وكالة فرانس برس" ووزارة الدفاع الروسية من أجل تقديم صورة واضحة عن الحرب السورية من عدة زوايا - مع تعزيز مصالح الدولة الروسية في الوقت نفسه.

وعلى نحو متوقّع، تدعم معظم التقارير حول سوريا الرئيس بشار الأسد، بهدف تقديم رواية تسيء إلى سمعة أي معارضة له أو للجرائم التي يرتكبها نظامه بحق الإنسانية. وفي حين أن تغطية "روسيا اليوم" بالإنكليزية غالباً ما تعبّر عن صورة إيجابية لنظام الأسد وفق رؤية يُفترض أنها "بديلة" لجماعات على غرار "الخوذات البيضاء"، التي يرتديها المتطوعون في فرق الإنقاذ، تقدّم "روسيا اليوم العربية" موقفاً افتتاحياً أقلّ غموضاً. وبدلاً من ذلك، تركّز تغطيتها لسوريا على تحكّم روسيا بالوضع، كما هو مثبت في التأكيد على أن إسرائيل أقدمت خلال تموز/يوليو 2018 على إسقاط طائرة إيرانية بدون طيار فوق المجال الجوي الإسرائيلي بعد تأكيد أن الطائرة بدون طيار ليست روسية الأصل، وكذلك في التشديد المتكرر على النجاحات العسكرية التي يحققها الجيش الروسي وجيش الأسد ضد "الإرهابيين".

وتصيغ "روسيا اليوم" تغطيتها للتسبّب في أقصى درجة من عدم الثقة في جماعات المعارضة السورية، بحيث سألت ذات مرة قرّاءها ما إذا كان "مِن مصلحة الفصائل المسلحة جنوب سوريا التمسك بشروطها". كما تُعتبر تغطية "روسيا اليوم العربية" تكملةً لوسائل الإعلام الأخرى الموالية للأسد - فمؤيدو الأسد يستخدمون تقارير "روسيا اليوم" لإظهار التأكيد الغربي (وإن كان في الواقع روسي) للرواية الموالية للأسد، في حين تقدّم "روسيا اليوم العربية" وسائل الإعلام الرسمية للأسد ومصادر الأخبار الموالية للأسد كأصول موثوقة في الحصول على معلومات عن الحرب السورية.

كما تسعى "روسيا اليوم العربية" إلى تقديم صورة شاملة عن دور روسيا في سوريا، من خلال عرض بيانات وزارتيْ الخارجية والدفاع الروسيتين بشأن البلاد على الجمهور الناطق بالعربية. ويُعتبر استغلال الخوف من الإرهاب، كما أشرنا سابقاً، أساسياً لتغطية "روسيا اليوم العربية". وعلى نطاق أوسع، تُعتبر كلمة "إرهابي" تصنيف فعّال لوصم الخصوم - وقد استخدم الزعماء السياسيون العرب هذا التهديد كدعوة للوحدة الحقيقية ولإبادة الخصوم السياسيين على حد سواء، حيث ينتهج الأسد بشكل

خاص النموذج الأخير. ومن جهتها، تحاول "روسيا اليوم العربية" التأكيد على وجود رابط بين الجماعات الإرهابية (خاصة تنظيم «الدولة الإسلامية») والمعارضة السورية الأوسع نطاقاً. وفي حين يتمّ عرض معظم تغطية "روسيا اليوم" بلهجة موضوعية، إلّا أن بعض العناوين العريضة تنحرف عن ذلك، بإشارتها إلى خروج "الثعابين الإرهابية" من مخابئها وسط "تطورات خطيرة" تهدد الدول العربية وإلى طلب تنظيم «داعش» من أفراده الهروب إلى أوروبا، مما يعزّز المخاوف الحقيقية من عودة أتباع تنظيم «الدولة الإسلامية» خارج العراق وسوريا ويشير بالتالي إلى أن دعم الأسد هو الخيار الوحيد المتاح لقمع التنظيم بشكل فعال.

وعلى غرار تغطية "روسيا اليوم" لسوريا بلغات أخرى، أعدّت "روسيا اليوم العربية" أواخر صيف عام 2018 تقريراً حول احتمال وقوع هجمات كيميائية "كاذبة" في إدلب لتعزيز بيانات وزارة الدفاع الروسية في هذا الشأن، وأفادت أن روسيا لن "تترك الإرهابيين وحدهم بينما يحتجزون ملايين الرهائن في إدلب". ويقدّم التقرير أيضاً صورةً سلبية على نحو خاص عن القوى الدولية المشاركة ربما في تحديد مصير المناطق المتبقية الخاضعة لسيطرة المتمردين العرب، في تلميح إلى أن الإدارة الأمريكية والدول الأوروبية تدعم المعارضة "الإرهابية".
وتسعى "روسيا اليوم العربية" إلى إرساء توازن حذر بشأن إيران، وهي لاعب رئيسي آخر في سوريا. وفي النهاية، ونظراً إلى عدم ثقة معظم العالم العربي بالدولة الإيرانية، وربما بعلاقة موسكو الفريدة مع الجمهورية الإسلامية، فغالباً ما تختار "روسيا اليوم العربية" تركيز تغطيتها على فرض الولايات المتحدة للعقوبات، وهي خطوة تظهر التعنّت الأمريكي. وتعكس هذه المقاربة عناوين على غرار "روحاني: نحن بانتظار مقترحات الاتحاد الأوروبي" و"روحاني: يجب أن تكون الخطوة الأولى من المحادثات مع واشنطن قائمة على الصدق وتهدف إلى تحقيق النتائج". ويشير تطور المقال الأخير عبر الإنترنت إلى أن محرري "روسيا اليوم العربية" يرغبون في تعديل عناوينهم وتحسين رسائلهم المزمعة. ففي البداية كان ذلك تنبيه عاجل، وبعد ثلاثين دقيقة فقط تغيّر العنوان ليصبح "روحاني: ماذا تعني أي محادثات تحت طائلة العقوبات؟" وبعد ساعات، تمّ إدراج مقطع أخير حول إعادة الولايات المتحدة فرض العقوبات، مع تعديل نبرة روحاني من تصالحية إلى ساخطة.

مصر

تحمل تغطية "روسيا اليوم العربية" واسعة النطاق لأخبار مصر في طياتها فوائد تحريرية وسياسية على السواء. فمن جهة، تشدّد الشبكة على دعم مصر لنظام الأسد؛ فقد نشرت "روسيا اليوم" بيان وزير الخارجية المصري الذي أدلى به في تموز/يوليو 2018 بأنه لا يمكن حل الحرب السورية بإراقة المزيد من الدماء. كما تسلّط المقالات الضوء على اهتمام مصر في استقطاب سياح روس. ومن جهة أخرى، يبدو أن الصور التي تنشرها "روسيا اليوم مصر" تحرز تقدماً في قضايا حقوق الإنسان، على غرار ما جاء في القصة بعنوان: "مصر: قرار جديد يعامل السودانيين مثل المصريين". ويبدو أن هذه التغطية الإيجابية الشاملة تقود حركة الإنترنت، إلى جانب لعب دورها السياسي من أجل الحصول على إعجاب القيادة المصرية. وتشير بيانات "أليكسا" إلى أنه من بين الدول العربية، السعودية هي الوحيدة التي تزوّد "روسيا اليوم" بأكبر عدد من الزيارات عبر الإنترنت، وأن المصريين يحتلون المرتبة التاسعة عالمياً كمستخدمين لمواد موقع "روسيا اليوم".

ومن بين الأمثلة على مساعي "روسيا اليوم العربية" إلى إشراك الجمهور المصري هو تعليق على "فيسبوك" يشير إلى أن مصر من بين "أبرز المعلمين" عالمياً من حيث الإنفاق، مرتبط برسم بياني

يكشف عن مركز مصر. (راجع الشكل في هذه الصفحة). غير أن التفاصيل الفعلية للرسم البياني مخفية في التعليق نفسه، حيث يتوجب على القارئ "النقر عليها" لرؤيتها - لتكشف أن تصنيف مصر ليس في الواقع مرتفعاً بشكل خاص. إن هذا التباين بين العنوان والمحتوى يشكّل استراتيجيةً ثابتة تتبعها "روسيا اليوم العربية"، حيث أن المعلومات الموضوعية التي تتمّ مناقشتها في صلب المقال "محرّفة" في عنوانه.

ويبدو أن بعض القُرّاء على الأقل من قصة التعليم قد فهموا الحقيقة. فالتعليق الأول يكشف ما هو واضح: "مصر غير مدرجة في الترتيبات هاهاهاهاها". لكن "روسيا اليوم العربية" تغطي معظم أخبارها باسم "مصر" لكي ينقر المصريون على الروابط. فضلاً عن ذلك، تشير تغطية أخبار مصر - بخلاف تغطية الدول الأخرى - إلى اهتمام عميق للقارئ بأخبار بلاده اليومية، حيث تتراوح مواضيع المقالات المنشورة بين حركة السير في مصر وحصول القضاة على ترقية وانتقام والد من مغتصب ابنته خلال المحاكمة. ويبدو أن المقال الأخير حصد أكثر من 100 ألف مشاهدة، وهو أمر جدير بالملاحظة بما أن العديد من المقالات الأخرى لـ "روسيا اليوم" لا تتخطى مئات المشاهدات، وفقاً لموقعها الإلكتروني. ويُظهر ذلك كيف يمكن لمقالات "روسيا اليوم" اكتساب اهتمام الجمهور بشكل كبير. ويُعتبر هذا الرقم، رغم أنه غير مثبت بشكل مستقل، أكثر أهميةً نظراً إلى وجود مقالات أخرى تنشرها "روسيا اليوم" ولا تتخطى مشاهداتها المئات.

وتدرك الحكومة المصرية أن رسائل "روسيا اليوم" مرتبطة بالكرملين. وفي حالة واحدة على الأقل حين عجزت "روسيا اليوم" عن الالتزام بخط التحرير المرغوب به في مصر، توجّب على القاهرة التدخل. وكان ذلك في أيار/مايو 2018 حين طرح أحد استطلاعات "روسيا اليوم العربية" سؤالاً حول ما إذا كانت أرض حلايب المتنازع عليها تعود إلى مصر أو السودان. وقد فسّرت وزارة الخارجية المصرية الاستطلاع على أنه استفزازي وألغى وزير الخارجية مقابلة تلفزيونية مخطط لها مع الشبكة؛ فأسرعت "روسيا اليوم العربية" إلى سحب الاستطلاع. كما رفعت وزارة الخارجية المصرية شكوى إلى نظيرتها الروسية، مما يدل على العلاقة بين "روسيا اليوم" وسياسة روسيا الخارجية. وتبيّن هذه الحادثة إلى أي مدى يمكن أن تأخذ الدول العربية رسائل "روسيا اليوم" بجدية واستعداد "روسيا اليوم العربية" إلى التراجع في وضع مماثل على حدّ سواء.

ويبدو أن هذه العلاقة التكافلية، وبصرف النظر عن عيوبها، راسخة. ففي أيلول/سبتمبر 2018، أعلنت "سبوتنيك" أنها دخلت في شراكة مع "الأهرام" المصرية. وفي حين أن "الأهرام" هي صحيفة حكومية خاضعة لرقابة صارمة، إلا أنها تتمتع أيضاً باعتراف كبير باسمها وتاريخ طويل باعتبارها الجهاز الرئيسي للحركة القومية العربية. ومثل هذه الشراكة تضع "سبوتنيك" بعمق ضمن رواية وسائل الإعلام التقليدية الناطقة باللغة العربية وتشير إلى اهتمام في ترويج أفكار بشأن علامتها التجارية الخاصة. كما تسلّط الضوء على مساعي الكرملين لغرس حملته الدعائية - ورسائله - في المجتمع المصري.

إسرائيل و"السلطة الفلسطينية" والسعودية

تجسّد تغطية أخبار إسرائيل لهجة "روسيا اليوم العربية" المتباينة حين تواجه مسألةً حساسة. فمن جهة، تعتمد "روسيا اليوم العربية" على الممارسات الإعلامية القائمة منذ وقت طويل في الدول العربية، على غرار التركيز على الأعمال العسكرية والمدنية التي تنفذها إسرائيل ضدّ المجتمعات الفلسطينية ونظريات المؤامرة حول نطاق وصول "الموساد". ومن جهة أخرى، تظهر "روسيا اليوم" إسرائيل على أنها حذرة وتحترم مصالح روسيا في المنطقة. وتتواءم مثل هذه التغطية مع رغبة الكرملين في تصوير نفسه على أنه قوة عظمى، تكون دولة كإسرائيل مدينة لها. وفي عدة حالات، حين تصرف "جيش الدفاع الإسرائيلي" بصورة علنية في سوريا، كانت عناوين "روسيا اليوم العربية" تركز في افتتاحيتها عند إعداد تقاريرها عن هذه الخطوات على أن إسرائيل "أكّدت أن الأهداف لم تكن روسية".

أما تغطية أخبار "السلطة الفلسطينية"، فتتمحور عموماً حول عملية السلام والشرعية المؤسسية، كما هو موضح في الاجتماعات المتكررة بين ممثلين عن روسيا و"السلطة الفلسطينية". فعلى سبيل المثال، تركّز "سبوتنيك" على التجارة بين فلسطين وروسيا. وفي المقابل، تكرّس "روسيا اليوم العربية" تغطية ضئيلة نسبياً للمسائل أو الفعاليات السياسية الفلسطينية في الضفة الغربية أو قطاع غزة غير تلك الموجّهة ضدّ إسرائيل. وخلال أشهر صيف عام 2018، برزت تغطية إخلاء إسرائيل للسكان البدو في قرية خان الأحمر و"صفقة القرن" الموضحة بشكل بارز في تقارير "روسيا اليوم العربية". وتَرافق ذلك مع تغطية مكثفة لإطلاق سراح الناشطة الفلسطينية المراهقة عهد التميمي من السجن في أواخر تموز/يوليو - غير أن الأخبار التي تطرقت إلى القضايا السياسية أو الاجتماعية الفلسطينية الداخلية خلال هذه الفترة كانت قليلة نسبياً.

وعلى غرار إيران، تحظى السعودية بمعاملة متناقضة بعض الشيء، تخضع غالباً لكيفية ظهور الشخصيات الأمريكية في قصة معينة. وتُبرز تغطية "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" عبر الإنترنت لقضية خاشقجي هذا التناقض، إضافةً إلى الميول التحريرية لـ "روسيا اليوم" التي غالباً ما تفضّل التركيز على المصادر الغربية غير الجديرة بالثقة بدلاً من إعداد بيانات ضدّ دولة عربية بحدّ ذاتها. وقد كانت معظم تغطية المواقع لهذه الحادثة حيادية بشكل ملحوظ؛ فقد كانت التقارير حذرة للغاية في تغطية النسختين الرسميتين التركية والسعودية عن التحقيقات الجارية من دون الإدلاء بالكثير من التعليق. فضلاً عن ذلك، يتمّ إخفاء أي اتهامات أو آراء من خلال وصفها كاقتباسات مباشرة من قيادات تركية أو سعودية أو أمريكية أو قطرية أو حتى من قيادة «حزب الله».

ومع ذلك، فإن إدراج بعض الروايات، مثل اقتباسات من عائلة خاشقجي تنفي المزاعم الواردة على قناة "سي أن أن" ونفي أحد مراسلي "سبق" تقرير لوكالة "رويترز"، يبرز عدم الثقة بوسائل الإعلام

الغربية - في محور اهتمام غير اعتيادي لقصة عن مقتل كاتب مساهم سعودي في صحيفة "واشنطن بوست". ويشدد المقال الأخير على أن "رويترز" «البريطانية» وقعت في "خطأ مهني وأخلاقي... [و] فخ التضليل"، في حين أشار الأول كيف أخطأت "قناة "سي أن أن" الأمريكية" في إعداد التقرير. وعلى الرغم من اعتماد "روسيا اليوم العربية" بشكل كبير على الأخبار الغربية كمصادر لها، إلّا أنه يتم استخدام هذه المصادر نفسها من أجل الاعتراض على طريقة عرض الغرب للوقائع باعتبارها أدوات مشكوكاً فيها لرواية غربية مسيطرة.

وبصورة أكثر مباشرة في هذا السياق، ينطوي تعليق على حساب "تويتر" الخاصة بـ"روسيا اليوم العربية" لمقال بعنوان "رئيس العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي: محمد بن سلمان وراء مقتل خاشقجي ويجب معاقبته" على تحريف بغية التشكيك بنوايا القوى السياسية الأمريكية، مشيراً إلى أن "بياناً أمريكياً خطيراً" يضع محمد بن سلمان في "موقف صعب".

تغطية أخبار الغرب

إن المسؤول المعني في المسألة أعلاه هو بوب كوركر (جمهوري - ولاية تينيسي)، وهو الرئيس المنتهية ولايته للجنة مجلس الشيوخ الأمريكي للعلاقات الخارجية. فضلاً عن ذلك، تلمح طريقة إعداد التقرير بشأن بيانه إلى استراتيجية تحريرية يعتمدها الكرملين وتهدف إلى رسم الولايات المتحدة وكأنها مدارة من بعض الجهات المتناحرة إلى حدّ كبير مع بعضها البعض، ولكن مع تصاميم بغيضة بشأن الشرق الأوسط. وغالباً ما تكون هذه الجهات المتناحرة هي ترامب والكونغرس ووسائل الإعلام. فبالنسبة إلى الرئيس الأمريكي، تصوّره كل من "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" بطريقة مختلفة استناداً إلى الموضوع. وفي حين يسلّط العديد من المقالات الضوء على أي إشارة إلى عمل ترامب بشكل مثمر مع المسؤولين الروس، تشير تقارير أخرى إلى أن مزاجه المتقلّب يقود الولايات المتحدة إلى الفوضى.

كما تتبنى المقالات في "روسيا اليوم العربية" بالكامل فكرة "الدولة العميقة" المصممة على تقويض السلطة التنفيذية الأمريكية حسنة النية. واستناداً إلى "روسيا اليوم"، يفضّل ترامب فعلياً روسيا ولكن عليه محاربة مكائد الجهات الحكومية الأمريكية الأخرى من أجل تحقيق رغباته الحقيقية. ومع ذلك، صنّف كتّاب "روسيا اليوم العربية" الهدف من كتاب بوب وودوارد "الخوف" على أنه "يكشف الأساليب الماكرة التي يلجأ إليها أفراد فريق ترامب من أجل ضبط أساليبه العشوائية ومزاجيته من أجل منعه والبلاد من الوقوع في الفوضى". وفي أي صراع مع الولايات المتحدة، تصوّر "روسيا اليوم" روسيا بشكل لا يدعو للمفاجأة على أنها الدولة المتقدمة، حتى عندما تفرض واشنطن عقوبات على موسكو، حيث جاء بشكل مريب في أحد العناوين "عقوبات واشنطن تساعد بوتين على تحقيق هدف كان يسعى إليه منذ 20 عاماً!" - تخليص العاصمة من رجال الأعمال الروس المهاجرين.

إن تصوير الولايات المتحدة بهذا الشكل يخدم على الأرجح عدة أهداف. أولاً، يمكنه استغلال الإحباط العام في المنطقة إزاء النظام السياسي الأمريكي والانفصال الملحوظ بين "القوة" والفعالية الأمريكية. ثانياً وبحذق أكبر، يعزّز رواية الكرملين بأن روسيا هي القوة الأكثر منطقيةً بين الاثنتين، والراغبة في العمل مع الشركاء الإقليميين للتعامل مع الولايات المتحدة المرتبكة والعدائية. وبالفعل، وكما أشرنا سابقاً، أفاد بوتين وغيره من المسؤولين في الكرملين أن المشاكل التي تشوب العلاقة بين الولايات المتحدة وروسيا تُعزى إلى الاختلافات الداخلية بين ترامب وآخرين في الحكومة الأمريكية. وفي حين أن مثل هذه البيانات تحمل في طياتها بعض الحقيقة، كما تفعل معظم الحملات الدعائية الفعالة، إلّا أنها

تنحرف عن عدائية موسكو تجاه أوكرانيا وغيرها من الدول المجاورة وتدخلها في الانتخابات الأمريكية وفي الديمقراطيات الغربية عموماً - بدءاً بنشر الفتنة العامة ووصولاً إلى تسميم العميل المزدوج الروسي السابق سيرغي سكريبال وابنته يوليا - ودعمها لحكام ديكتاتوريين كالأسد.

والأكثر دهاءاً، وفقاً لـ "روسيا اليوم العربية"، هو الهيكلية الأكبر لحلف "الناتو" وطبيعته العدائية، في شكوى تاريخية تخبر الكثير عن النظرة العالمية التي تبثها منصات الإعلام الروسية هذه. وكما أوضحت السلسلة التي نشرتها "سبوتنيك" بعنوان "توسّع 'الناتو' في العالم"، يركّز بث "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" ووسائل التواصل الاجتماعي التابعة لهما على أسلحة الحلف ودوره في سياق مؤامرة ملموسة ضد روسيا. ويقدّم المصدران مجموعة من المقالات المتنوعة حول القدرات العسكرية لحلف "الناتو" مقارنةً مع روسيا و"دليل" على نفاق الحلف والدور المحتمل له في الشرق الأوسط. ويمكن أن تكون التغطية حياديةً بشكل خادع؛ إذ يبدو مقال من 3 فقرات حول تصريح الأمين العام جينز ستولتنبرغ بأن "الناتو" غير مسؤول عما حدث في ليبيا في عام 2011 تقريراً موضوعياً للوقائع. ولكن رسماً كاريكاتورياً تضمنه المقال بوضوح يُظهر "الناتو" كقط يدفع حوض سمك وهو "ليبيا" عن الحافة، وسط تخبّط سمكة تنازع حول وعاء مكسور لا يمكن إصلاحه. ويعزّز تورّط "الناتو" الأولي في المنطقة خلال العقود الماضية والذي شمل المشاركة في حرب العراق عام 2003 هذه الرواية عن النفوذ المدمر للحلف في المنطقة.

وما يُعتبر أقل مركزيةً من الولايات المتحدة، ولكن مع ذلك يكتسي أهمية كبيرة هي تغطية "روسيا اليوم" لأخبار ألمانيا. إن مشاركة البلاد الاستثنائية في الأزمة السورية إلى جانب المشاكل القائمة منذ فترة طويلة مع بوتين، جعلت المستشارة أنجيلا ميركل موضوعاً متداولاً على نحو دائم وغير متوقع في "روسيا اليوم العربية"، بما في ذلك في منشورات الشبكة على حساب "تويتر". وقد طرح أحد الاستطلاعات السؤال التالي: "هل ستخسر المستشارة أنجيلا ميركل منصبها بسبب الخلاف بشأن الهجرة مع ائتلافها الشريك، نعم أو لا؟" (أجاب 55 في المائة من المستطلعين بـ"لا"). ويعكس هذا التركيز فعلياً النقاط التي يظهر فيها ترابط استراتيجيات النشر الكلية التي تنتهجها "روسيا اليوم"، بغض النظر عن اللغة سواء كانت العربية أو الألمانية أو أي لغة أخرى. وبخلاف لغات النشر الأخرى لشبكة "روسيا اليوم"، تقدّم "روسيا اليوم ألمانية" خدماتها لجمهور لغوي محدود نسبياً مؤلف بشكل رئيسي من الألمان والنمساويين وبعض السويسريين. ومع ذلك، ووفقاً لبيانات "أليكسا"، يأتي نحو 11 في المائة من إجمالي الاستخدام العالمي لأي من مواقع "روسيا اليوم" من ألمانيا، وتحتل "روسيا اليوم" المرتبة التاسعة والتسعين ضمن المواقع الأكثر شعبية في البلاد. إن هذا القرار الناجح بالتوسع في التغطية باللغة الألمانية، وعند ربطه برسائلها المعادية لميركل في التغطية الألمانية والعربية والإنكليزية، يوفّر نافذة على نظرة الكرملين إلى "روسيا اليوم" باعتبارها أداة للسياسة الخارجية. ومن هذا المنطلق يجب أن تُفهم تغطية "روسيا اليوم العربية" لأخبار ألمانيا على أنها محاولة لاستحداث رواية متماسكة عن الغرب وعن الشرق الأوسط أيضاً بين جمهورها.

تغطية أخبار روسيا

تزوّد "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" أيضاً تغطية أساسية لأخبار روسيا إلى الجمهور الناطق بالعربية. وتركز المقالات على المهارة العسكرية لروسيا، بما يتماشى مع مصلحة موسكو الكبيرة في بيع الأسلحة إلى المنطقة. كما تركز على دور بوتين القيادي. ومن غير المستغرب أن تمثّل بوتين كقائد قوي وكفوء وقادر على المشاركة بشكل مباشر في التحديات الإقليمية. وجاء في أحد العناوين "بوتين يبحث في

اتصال هاتفي مع العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني تسوية الأزمة السورية". ويُظهر هذا البيان الواضح لمركزية بوتين فيما يتعلق بالصراع في سوريا، كمصمم النتيجة النهائية ومفاوضاً مهماً مع دول عربية أخرى على السواء، كيف ترغب "روسيا اليوم العربية" أن ينظر قراؤها إلى بوتين بينما تعكس في الوقت نفسه سياسة روسيا الخارجية الفعلية: بوتين يتصرف باعتباره مكملاً لروسيا نفسها ويشارك بشكل مباشر في الشؤون الإقليمية. فضلاً عن ذلك، وبما يعكس الواقع إلى حدّ كبير، تعزّز هذه الرسالة مصداقية "روسيا اليوم". وعادةً ما يشكّل مزيج من الحقيقة والخيال صيغة للدعاية الناجحة.

وغالباً ما تسلط كل من "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" الضوء على اجتماعات المسؤولين الحكوميين الروس مع عدد من نظرائهم العرب الرفيعي المستوى. كما أن المقالات بحدّ ذاتها هي بالأحرى محدّدة الصيغة ولا يمثّل التفسير الرئيسي أي تحديث بنّاء حول علاقة روسيا مع مختلف الدول العربية المُبرزة - بل بالأحرى، تبدو الروايات مصممة لإظهار موقف روسيا كحليف موثوق وحكم قوي في الشؤون الإقليمية.

وعلى الصعيد المحلي، كانت إعادة اعتبار الرمزية السوفيتية إحدى سمات حكومة بوتين منذ البداية، ولكن خلال السنوات القليلة الماضية، اشتدت وتضمنت بشكل متزايد جوزيف ستالين. ومن الجدير بالذكر أن "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" تغطيان هذا الموضوع بالعربية أيضاً. وتظهر نسخة "روسيا اليوم" في "رحلة في الذاكرة" وهو برنامج مؤلف من مئات المقاطع الطويلة عن الأحداث التاريخية. وفي حين أن بعضها خاص بالمنطقة، إلّا أن معظمها يحاول إعادة اختراع التاريخ السوفييتي في عهد ستالين للجمهور الناطق بالعربية، بتوجيه من مقدم البرنامج خالد الرشد الذي يتحدث اللغتين الروسية والعربية. وتركّز هذه المقاطع على مقابلات مع خبراء: أساتذة وأعضاء سابقون في الحكومة السوفييتية وغيرهم. وعلى غرار العناصر الأخرى من تغطية "روسيا اليوم"، يتمّ تقديم التاريخ على أنه مليء بالأسرار التي تنتظر الكشف عنها. فعلى سبيل المثال، يحمل أحد البرامج عنوان "ستالين قُتل إثر انقلاب سياسي! ملفات خطيرة تظهر للعلن لأول مرة".

ويتمثل أحد التفسيرات لسبب إدراج ستالين في التغطية العربية للكرملين في اللعب على الذكريات السعيدة العالقة في ذهن المنطقة عن الاتحاد السوفييتي خلال الحرب الباردة، وإذكاء الحنين إلى الماضي المتخيل إلى حد كبير. وبالفعل، كانت إثارة الحنين إحدى تقنيات الكرملين الواسعة الانتشار منذ استلام بوتين السلطة. كما يهدف هذا التركيز إلى بثّ تصوّر عن استمرارية تاريخية في نظام بوتين، وبالتالي حشْد الدعم له بطريقة غير مباشرة. فضلاً عن ذلك، فإنه يضفي الشرعية على فكرة قيام الحكومات بإعادة صياغة التاريخ - وهي ممارسة شائعة في روسيا والشرق الأوسط على السواء. والمثال الأكثر حداثة على التحريفية المتنامية في موسكو هو الإصرار على أن تقوم "أسوشييتد بريس" بإزالة مصطلح "الحليف السابق" من مقال يذكر معاهدة ستالين - هتلر خلال الحرب العالمية الثانية. وأرادت روسيا أن توضح أن البلدين لم يكونا حليفين من قبل، على الرغم من واقع اتفاق مولوتوف - ريبنتروب.

ما بعد "روسيا اليوم" و"سبوتنيك"

إن المصلحة الروسية في تحديد معالم الرسائل في وسائل الإعلام العربية تتجاوز على الأرجح "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" لتمتد إلى الإنترنت الأوسع نطاقاً. وبالتالي، خصّصت وسائل الإعلام المستقلة الناطقة باللغة الإنكليزية مصادر كثيرة لفهم منحى آخر في وسائل الإعلام الحكومية الروسية: إعادة تقديم تقارير "روسيا اليوم" كمقالات "مستقلة" لا يمكن ربطها بسهولة بالبرنامج الروسي. وتُظهر

ثلاثة أمثلة الفعالية المحتملة لهذا التكتيك. وتفتخر "ريد فيش" بنفسها على أنها جماعة مستقلة مقرها في برلين تُعنى بالتوثيق مخصصة لكشف مؤامرات ونفاق الدولة على الصعيد الدولي، ولكن مع التركيز على الدول الغربية. كما أثبت برنامج "إن ذا ناو" In the Now الحواري نفسه في وسائل التواصل الاجتماعي: فموقعا "فيسبوك" و"تويتر" التابعان له قدّما محتوى مصمماً لاستقطاب جيل الألفية، مكرران الانتقادات الحرة الشعبية لسياسة التوسّع وتدخل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وفي حين أنه كان لدى "Inside Syria Media Center" النية نفسها، إلا أنه يختلف تماماً من حيث التصميم، ويتمثّل بـ : توفير تغطية موالية لروسيا والأسد للأحداث السورية تحت تحت ستار عدم التحيز. كما برز هذا النموذج في البلطيق حيث ظهرت وسائل الإعلام الممولة من الكرملين وكأنها مستقلة.

وفي كل حالة، كشف الصحفيون الناطقون باللغة الإنكليزية العلاقات بين هذه المؤسسات المستقلة ظاهرياً وتمويل الحكومة الروسية. وبالتالي من المنطقي الافتراض أن هذه الأنواع من "وسائل الإعلام المستقلة" موجودة باللغة العربية أيضاً، مما يبرر تحقيق أعمق لتأكيد حالات معينة. وتجدر الإشارة إلى أن لاثنين من الأمثلة الثلاثة برعاية روسية - "إن ذا ناو" In the Now و"Inside Syria Media Center" - اهتمام خاص في سياسة الشرق الأوسط. فضلاً عن ذلك، خلص تقرير صدر في الآونة الاخيرة إلى أنه في أعقاب الهجوم الكيمياوي الذي نفذه النظام السوري في 7 نيسان/أبريل 2018 في دوما، تمّ نشر أقلية ملحوظة من الروايات الموالية للأسد على "تويتر" من قبل "جهة حكومية منسقة بشكل جيد وذات تركيز ضيّق، وبالتأكيد الاتحاد الروسي".

وعلى نحو مماثل، يمكن لوسائل الإعلام المستقلة ظاهرياً ولكن المتعاطفة الاعتماد على "روسيا اليوم العربية" من أجل المحتوى. وتُظهر مقارنة وسيلتين إعلاميتين أعادتا نشر مقال آب/أغسطس 2018 "واشنطن تحذّر طهران من الخطأ الأكبر" كيف أن نسخة "روسيا اليوم العربية" تظهر من جديد على مواقع أخرى ناطقة بالعربية. ومن جهة أخرى، تعيد مدوّنة "أخبار" نشر المقال الرئيسي وكأنه آتٍ مباشرة من "روسيا اليوم"، مع الإبقاء في الوقت نفسه على إسناد المصدر الأصلي لـ "روسيا اليوم العربية" إلى "رويترز". وفي المقابل، يعدّل الموقع الإخباري اللبناني "اللواء" العنوان ويزيل أي ذكر لـ"روسيا اليوم" نفسها، إلا أنه يترك متن النص دون تغيير. وهنا، يشير الاقتباس من "رويترز" كمصدر إلى أن المحتوى مأخوذ مباشرةً من "رويترز" نفسها، وليس من "روسيا اليوم العربية". كما توضّح شراكة "سبوتنيك" الأخيرة مع "الأهرام" والعلاقة التكافلية لـ "روسيا اليوم العربية" المشار إليها سابقاً مع وسائل إعلام حكومة الأسد، أن "روسيا اليوم العربية" و"سبوتنيك" تعملان بجهد لتوسيع نطاق انتشار موادهما في المنطقة وفي مصر على وجه التحديد. علاوة على ذلك، يشير تقرير مطوّل صدر في الآونة الاخيرة عن التلاعب بالمعلومات في موسكو إلى أن "نطاق وسائل الإعلام التي تنشر عقيدة الكرملين، وفي بعض الأحيان من دون قصد، تواصل توسّعها".

الحكم على نجاح موسكو

أظهرت موسكو التزاماً متسقاً بالوصول إلى الجمهور الناطق بالعربية، حتى أكثر مما سعت فيه إلى الجمهور الغربي. وهذا ليس من أجل التقليل من أهمية تركيز الكرملين على الجمهور الغربي، لكن التركيز الواضح على الشرق الأوسط منذ البداية غالباً ما لا يتم الإبلاغ عنه. ولكن إلى أي مدى نجح ذلك؟ وما هو التعريف الأنسب للنجاح؟ إن النقاش العام بشأن نجاح الحملة الدعائية والتلاعب بالمعلومات من قبل موسكو قديم العهد. ويعود أساساً إلى الحرب الباردة على الأقل ويبقى دون تغيير

نسبياً حتى يومنا هذا. ولا يزال التقييم الدقيق بمثابة تحدٍ. أما الإحصاءات بشأن عدد المشاهدين وحدها، التي تمّت مناقشتها في فقرات سابقة، فلا تعتبر بالضرورة مؤشراً جيداً على النفوذ، ولكنها تقدّم معلومات معمقة مفيدة، وهو الأمر بالنسبة للروايات والدراسات النوعية. وإذا ما أُخذت هذه المعلومات مجتمعة، فإنها تعطي إحساساً عاماً عن تأثير "روسيا اليوم" و"سبوتنيك عربي".

وكما أشرنا سابقاً، يوفّر الشرق الأوسط أرضاً خصبة لأجندة الكرملين - وهي مكوّن رئيسي لنجاح موسكو. واستناداً إلى أحدث استفتاء للشباب العربي، وهو استطلاع سنوي للفئات العمرية المتراوحة بين 18 و24 عاماً في أرجاء المنطقة، يَعتبر 20 في المائة من المستطلعين أن روسيا حليف بارز، متخطيةً الولايات المتحدة للسنة الثانية على التوالي. ويشير بحث أُجري مؤخراً حول التلاعب بالمعلومات إلى أن جهود الحملة الدعائية تميل إلى تعزيز وجهات النظر القائمة بدلاً من تلك الجديدة، وربما يساعد فهم موسكو للاستعارات الموجودة في وسائل الإعلام العربية التقليدية في تعزيز وجهات النظر المؤيدة للكرملين، والتي لا يمكن إلا أن تلحق الضرر بالمصالح الأمريكية.

ومع ذلك، فإن موقعاً لا يحتاج إلى الشعبية ليكون ناجحاً - يجب عليه فقط أن يكشف لبعض الأفراد الرئيسين عن أفكار محددة يمكن أن يعيدوا نشرها. وفي بعض الأحيان، يكون الهدف قسماً فرعياً ضئيلاً من إجمالي المشاهدين المحتملين: وكما خلص تقرير طويل صدر مؤخراً حول التلاعب بالمعلومات، "إن عدد المشاهدين لا يأخذ في الحسبان طبيعة هؤلاء المشاهدين: فرسالة تصل إلى 2 في المائة فقط من السكان قد يكون لها أثر ملحوظ إذا كانت نسبة الـ 2 في المائة هذه عنيفة ومستعدة للتحرك". وقد لا يولي الكرملين أولوية للتحريض على العنف، ولكن إذا وصلت رسالته إلى النخبة، فقد يكون لها أهمية أكبر من وصولها إلى شريحة كبيرة من الجمهور - وهذه هي الطريقة التي ربما يعرّف فيها الكرملين النجاح. فضلاً عن ذلك، تقدم مخرجات "روسيا اليوم العربية" و"سبوتنيك عربي" وجهة نظر واضحة: وجهة نظر ترتبط مباشرة بمصالح موسكو في المنطقة، ويسهل للقراء فهمها وفي بعض الحالات الارتباط بها.

ويشير الباحثون أيضاً إلى أن المعلومات، سواء قَبِل القارئ صحتها أم لا، يمكن أن تساعد على تحديد معالم الفهم المستقبلي للأحداث. كما أن تحوّل وسائل التواصل الاجتماعي من فسحة التواصل الشخصية إلى مصدر رئيسي للأخبار ساعد على فصل المعلومات عن مصدرها. بالإضافة إلى ذلك، يركز الكرملين بوضوح على وسائل التواصل الاجتماعي وطفرة الشباب في العالم العربي، مما يشير إلى لعبة أطول أمداً مع جهود قد تؤتي ثمارها في المستقبل. وحيث أن وسائل الإعلام المطبوعة وشبكات البث تضع المعلومات ضمن السياق الروائي لناشرها أو منتجها، يتم الآن مشاركة المقالات الفردية أو حتى ملخصات المقالات - مثل الرسوم البيانية - بسرعة وسهولة أكبر أو إعادة نشرها على غرار مخططات المعلومات البيانية - من دون الترويج للمستخدم الأصلي. ويمكن أن يحصل "عدم الترويج" هذا بشكل طبيعي: قارئ يقتبس إحصائية عبر الإنترنت تمت قراءتها في مكان آخر، أو موجهة من هدف إيديولوجي؛ وكذلك مصادر إخبارية أصغر تصف نفسها بالمستقلة، ولكن تعيد نشر مقالات حرفية من مصدر حكومي. وكما تشير دراسة حديثة لـ "مؤسسة راند"، تتسم الانطباعات الأولى بالمرونة الشديدة وفقاً لعلماء النفس، وبما أن وسائل الإعلام الدعائية لا تهتم بالحقيقة، فإن قدرتها على النشر بسرعة ومن دون التحقق من الوقائع تميل إلى صبغ انطباعات الجمهور الأولى. فضلاً عن ذلك، وكما توضح الدراسة نفسها، ينجح الكرملين في استخدام ما يدعى بالروايات المجمعة، التي تجمع حججاً متناقضة ولكن متعددة من خلال مصادر متنوعة وبأحجام كبيرة. وحتى إن لم يحقق استثمار الكرملين الخاص في الجمهور الناطق بالعربية عائداً نسبةً إلى الجهود المبذولة، فإن الاستثمار المستمر في

وسائل التواصل الاجتماعي التي تصل إلى الشباب العربي يشير إلى أنه يمكن لهذا الجهد أن يؤتي ثماره في نهاية المطاف. إن محاولات وسائل الإعلام الإخبارية للترفيه ليست بجديدة على الإطلاق: فالعناوين الحماسية، أو الصور المروعة، أو فضائح روايات الجريمة تعكس محاولات قديمة لإثارة اهتمام متابعي وسائل الإعلام. ومع ذلك، فإن الحملات الدعائية - غير المقيدة بالحاجة إلى فصل الواقع عن الخيال - ستزدهر أكثر ببساطة في بيئة إعلامية قائمة بشكل متزايد على مقاييس قيمة الترفيه. وهذا صحيح في الشرق الأوسط، والولايات المتحدة، وأماكن أخرى. ولكن في منطقة الشرق الأوسط على وجه التحديد، فإن هذا التطور لوسائل الإعلام يجعل من الأسهل نجاح الحملة الدعائية الروسية. ولا يجب أن يستخف الغرب بهذا التأثير باعتباره غير منطقي.

التوصيات في مجال السياسة العامة

إن البحث عن الحقيقة يدعم جميع الأنظمة الديمقراطية، بما في ذلك الإقرار بأن الحقيقة يمكن أن تكون معقدة ولها زوايا مختلفة. وكما أشار أرتش بودينغتون، باحث متميز في دراسات الديمقراطية في "فريدم هاوس"، هناك مفارقة في الطريقة التي تساهم فيها بعض عناصر الأنظمة الديمقراطية في الحملة الدعائية والتلاعب بالمعلومات. وصوّر الأمر كالتالي: "إن المقترحات التي تشير إلى أنه لا يوجد شيء يدعى حقيقة موضوعية، وأن التاريخ ليس سوى مسابقة بين روايات متنافسة، تدين بشعبيتها إلى واضعي النظريات المتطرفين وحتى إلى بعض الصحفيين".

ويمثل هذا الموضوع تحدياً دولياً متزايداً. وبالفعل، حذّر "المنتدى الاقتصادي العالمي" في تشرين الثاني/نوفمبر 2013 من أن "الانتشار السريع للمعلومات المضللة عبر الإنترنت" كان منحى عالمياً رائداً. ومع ذلك، تمثّل كل منطقة تحدياتها الفريدة الخاصة بها. في ما يلي توصيات في مجال السياسة العامة بشأن مكافحة الدعاية والتلاعب في المعلومات التي تقوم بها روسيا في الشرق الأوسط:

 عدم صرف النظر أو التقليل من شأن التهديد الذي يطرحه التضليل الروسي في المنطقة. إدرسوه وقيّموه. من الصعب قياس التهديد، مما يعزّز أسباب مراقبته ودراسته على أساس منتظم. وستكون مثل هذه الدراسة والتحليل المعتمدان أساسيين في تقييم التهديدات الأكثر دقة التي يمكن أن تسهّل وجود الردود المناسبة واستراتيجيات التواصل الأكثر فعالية - وهي الاستراتيجيات التي لا يتخذ الغرب دائماً موقفاً دفاعياً تجاهها.

 الاستثمار في تدريب أوسع نطاقاً للصحفيين في المنطقة. بالنسبة إلى صحفيي التحقيقات والمواطنين، برزت العديد من المصادر التعليمية عبر الإنترنت خارج مدارس الصحافة التقليدية، رغم أنها مختلطة من حيث الجودة. وفي حين أنه تمّ تطوير العديد من الجهود لتوعية صحفيي المواطنين في الدول الناطقة بالإنكليزية، فإن إمكانية النفاذ واللغة تشكل حواجز أمام تطبيقها على نطاق أوسع. ويمكن العمل على تعزيز برامج التدريب القائمة في المنطقة وتحسين النفاذ إلى الأدوات الخارجية على حد سواء أن يساعد على رفع سقف المعايير والتوقعات بالنسبة إلى وسائل الإعلام.

 بث رسالة أمريكية واضحة في المنطقة. يتمثل أحد أسباب جاذبية "روسيا اليوم" و"سبوتنيك" في بساطتهما. وغالباً ما تكون وسائل الإعلام الغربية خائفة للغاية من التعبير عن وجهة نظر أمريكية واضحة، دون تقديم اعتذارات، سواء بشأن الطبيعة الإجرامية لنظام الأسد أو الخطر الذي تطرحه أنشطة إيران التخريبية في المنطقة. وكما كتب الخبير في الشؤون الروسية كير جايلز، يمثل مطلب

التوازن التحريري في الغرب مشكلة: "نتيجة لهذا المطلب، على سبيل المثال، حتى تقرير يعدّه مراسل دبلوماسي محترم يشرح فيه طبيعة "الحرب الهجينة" يجب أن يتضمن ست فقرات عن الرفض الروسي، التي تدعي أن المفهوم ككل هو مجرد افتراء يرمي إلى تشويه سمعة روسيا". يجب أن يكون الوضوح الاستراتيجي والأخلاقي هو المرشد.

 التفكير على المدى الطويل. غالباً ما يكون للحملة الدعائية والتلاعب بالمعلومات آثار تراكمية، حتى لو كانت بعض العمليات قصيرة الأمد وعبارة عن استجابة للأحداث الفورية، على غرار القصص بشأن الخوذات البيضاء. ويتمثل التحدي على المدى الطويل في محاربة التدهور البطيء للقيم، وخلق الانقسامات واستدامتها، وتصاعد التوترات، والأسوأ من ذلك. ولا توجد إجابات سهلة. فالكرملين باقٍ في هذه اللعبة لفترة طويلة. وعلى الغرب أن يحذو حذوه أيضاً.

المؤلفتان تشكران **لورا فريدريكس** و**جودي القنيبط** على مساعدتيهما البحثية المفيدة.